منهج ابن خلدون في كتابة تاريخ بلاد المغرب (ولايتا عقبة بن نافع الفهري – نموذجا)

د. محمد بن عميرة – قسم التاريخ
– جامعة الجزائر

ملخـــص:

عند التمعن فيما كتبه ابن خلدون عن ولايتي عقبة بن نافع الفهري يتبيّن أنه لم يراع في كتابته ما يحتاجه التاريخ ، كما ذكر، من"حسن نظر و تثبُت للوصول إلى الحقيقة ... " ، فهو لم يتوقف ، كما يمكن التصوّر، عند كل حادث ليتمعّن و يحقق و يقارن و يحلّل و يستنتج ، بل إن حسن نظره و تثبته يقتصر، كما يتضح من خلال المثال المأخوذ هنا ، على حذف و اختصار كلّما لم يقتنع بصحة حدوثه ، كما ورد عند سابقيه ، و من ثمّ أمّن نفسه من العثور ، على حد تعبيره ، واستغنى على الكثير مما يتضمنه من شوائب ، أي أنه حاول غربلة ما نقله مما علق به ، وهذا ما يتميز به ابن خلدون عمن سبقوه في الكتابة التاريخية.

التاريخ عند ابن خلدون ومآخذه على المؤرخين:

يعتبر ابن خلدون " حقيقة التاريخ " أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العـــالم ، و ما يعرض لطبيعته من الأحـــوال: كالتوحّش و التأنّـس والعصبيات و تغلبات البشر ، بعضهم على بعض ، و ما ينشأ عن ذلك من المُلـك والدّول ، و ما ينتحِله (يدّعيه) البشر بأعمالهم و مساعيهم ، من الكسب و المعاش والعلوم و الصنائـــع و غير ذلك (مقدمة العلامة ابن خلدون ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ص 35).

و التاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، فأمّا ذكر الأحوال العامة للآفاق و الأجيال و الأعصار فهو أسٌّ (الأساس) للمؤرخ ، تبنى عليه أكثر مقاصده، و تتبين به أخباره ، وقد كان الناس يفردونه بالتأليف ، كما فعل المسعودي ، في كتاب مروج الذهب ، شرح فيه أحوال الأمم و الآفاق لعهده في عصـــــر الثلاثين و الثلاثمائـــة (330 هـــ/940 –1941) م ، غربًا وشرقًا، فصار إمامًا للمؤرخين ، يرجعون إليه ، و أصلا يعوّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه.

و هو فن يوقفنا على أحوال الماضين حتى يتم الاقتداء بهم ، في أحوال الدين و الدنيا ، و يحتاج إلى مآخذ متعددة ، و معارف متنوعة ، و حسن نظر ، و تثبت للوصول إلى الحقيقة " لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، و لم تحكم أصول العادة ، و قواعد السياسة ، و طبيعة العمران و الأحوال و الاجتماع الإنساني ، و لا يقيس فيها الغائب بالشاهد ، و الحاضر بالذاهب ، فربّما لم يؤمن فيها من العثور (مقدمة ابن خلدون: ص9).

و من المآخذ التي سجلها صاحب المقدمة على سابقيه من المؤرخين ، بمن فيهم المسعودي: الإفاضة في الحديث عن عساكر الدوّل ، و إحصاءات الأمـــــــوال و الجبايـــــات و خراج السلاطين ، و نفقات المترفين ، و بضائع الأغنياء و المُوسرين ، و ما نقلوه عن بعض الغزوات و ما وقعوا فيه من نقل أخطاء ، في تفسير بعض الآيات ، و حكايات تمس بـــعِـــرْض بعض الشخصيات التاريخية ، و القدح في بعضها ، و الطعون في أنساب البعض الآخر ، و راح يقدّم أمثلة كثيرة و متنوعة عن كل ما ذكره محاولا تنفيذ ما ورد فيها ، من معلومات ، حسب رأيه ، ليخلص إلى القول بأن مثل هذه الشوائب التي علقت بالتاريخ هي التـــــي جعلته واهيا مختلـــــطا (مقدمة ابن خلدون ، ص 12 فما بعدها من عدة صفحات).

و مثل هذه الأمور تفرض على صاحب التاريخ الإلمام " بقواعد السياسة و طبائع

الموجودات و اختلاف الأمم ، و البقاع و الإعصار ، في السيّر و الأخلاق و العوائد و النحل و المذاهب ، و سائر الأحوال ، و الإحاطة بالحاضر من ذلك ، و مماثلة ما بينه و بين الغائب من الوفاق ، أو بَوْنُ (المسافة) ما بينهما من الخلاف ، و تعليل المتفق منها و المختلف ، و القيام على أصول الدول و الملل ، و مبادئ ظهورها ، و أسباب حدوثها ، و دواعي كونها ، و أحوال القائمين بها ... و حينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد و الأصول ، فإن وافقها و جرى على مقتضاها كان صحيحا و إلا زيّفه ، و استغنى عنه " (مقدمة ابن خلدون ، ص 28).

و على صاحب التاريخ مراعاة " أن أحوال العالم و الأمم و عوائدهم لا تدوم على وتيرة واحدة . و كما يكون ذلك في الأشخاص و الأوقات و الأمصار ، فكذلك يقع في الآفاق و الأقطار و الأزمنة و الدول ... " (المقدمة ، ص 28). ومن ثمّ يكون من الخطأ بمكان ألا يتفطن السامع لأخبار الماضين لهذه التغييرات ممّا يوقعه " في مهواة الغلط " (المقدمة ، ص 29). و من أمثلة ذلك: التغيير الذي حدث في مفاهيم بعض المصطلحات كمفهوم المعلم الذي كان يقتصر على أهل الأنساب و العصبية ، في صدر الإسلام ، حيث كان المعلّم يعلم ما جهل من الدين ، على وجه البلاغ ، و بعد استقرار الإسلام في الأمم البعيدة ، صار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم ، و أصبح من جملة الصنائع و الحرف ، و اختص انتحاله بالمستضعفين المساكين ، و صاروا محتقرين عند أهل العصبية و الملك (المقدمة ، ص 29 – 30) و القضاة أيضا كانوا من أهل العصبية ، و في عداد الوزراء (المقدمة ، ص32).

و ممّا يؤاخذ عليه ابن خلدون المؤرخين السابقين له أيضا : ذكرهم اسم الملك و نسبه و أبيه و أمه و نسائه و لقبه و خاتمه و قاضيه و حاجبه و وزيره ، تقليدًا لمؤرخي الدولتين (صدر الإسلام) دون أن يتفطنوا إلى أن هؤلاء كانوا يكتبون لأهل الدولة التي كان أبناؤها متشوقين إلى سير أسلافهم لاقتفاء آثارهم ، و النسج على

منوالها ، حتى في اصطناع الرجال ، من خلف دولتهم ، و تقليد الخطط و المراتب لأبناء صنائعهم و ذويهم ، و أمّا حين تباينت الدول ، و تباعد ما بين العصور ، ووقف الغرض من معرفة الملوك بأنفسهم ، فلم تعد هناك فائدة من ذكر تلك المعلومات ، اللهم إلا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم كالحجاج و البرامكة وغيرهم لانتظامهم في عداد الملوك (المقدمة ، ص32).

و إذا كانت هذه هي خلاصة نظرة ابن خلدون للتاريخ و المؤرخين فالأمر يحتاج إلى إلقاء بعض الضوء على الكيفية التي تناول بها ، هو نفسه ، الكتابة التاريخية ، خارج الأمثلة التي عرضها علينا في مقدمته فيكون من المفيد أخذ نموذج من تلك الكتابة للنظر في هذه المسألة ، و يتعلق الأمر بولايتي عقبة بن نافع الفهري ، على بلاد المغرب،وذلك عن طريق عرض ما كتبه في هذا الموضوع ومقارنته بكتابات المؤرخين السابقين له ، و إظهار وجه الاختلاف بين الطرفين ، وما إذا كانت تلك الاختلافات المحتملة ناجمة عما يقترحه من طريقة على من يأتي بعده منهم.

نشاط عقبة السياسي ،قبل تأسيس مدينة القيروان:

يذكر ابن خلدون،في موضوع نشاط عقبة بن نافع الفهري ، قبل تأسيس مدينة القيروان ، أن والي مصر عمرو بن العاص استعمله على إفريقية قبل وفاته ، و لاحظ أنه ابن خالته ثم أضاف أنه " انتهى إلى لوّاتة و مزّاتة ، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم وقتل وسبي ، ثم افتتح سنة اثنتين و أربعين 662 – 663 م غدامس (*)، وفي السنة التي بعـــدها وُدّان (*) و كُوّار (**) ، من كور السودان ، و اثخن في

(*) غدامس:مدينة و واحة بالصحراء على بعد 495 كلم، جنوب غرب طرابلس،و420 كلم،جنوب غرب غدامس قابـــــس (E.Fagnan E.I.T.II. art ghadames. PP.140-141)

(*) واحة تقع على بعد عـشرة أيـام جنـوب زويلـة، قـصبة قزانـة(Art.zawilat-alsudan.PP.1289 E.I.:A.grohmans T.IV

تلك النـــــــواحي ، و كان له فيها جهـــاد و فتـــــــوح ، ثم ولاه معـــــاوية على إفريقيـــــة سنة خمسين (670 م) و بعـــث إليه عشرة آلاف فارس ، فدخل إفريقية ، و انضاف إليه مسلمة البربر " (ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ العلامة ابن خلدون/موفم للنشر ، 1995 ، ج ، 6 ، ص 19).

و في مكان آخر يقول نفس المؤلف: بـــعدما تم الاجتماع على خلافة معاوية بن أبي سفيان " بعـــــــــث معاوية بن حُديج السكوني من مصر لافتتاح إفريقية سنة خمس و أربعين 664 – 665 م) و قفل ابن حديج إلى مصر فولّى معاوية بن أبي سفيان ، على إفريقية بعده ، عقبة بن نافع ، فاختط القيروان ، و افترق أمر الفرنجة ، و صاروا إلى الحصون ، و بقي البربر بضواحيهم (تاريخ العلامة ابن خلدون ، ج . 12 ، ص 217).

و يشير ابن خلدون أيضا إلى ما أورده الواقدي من أن عقبة وَلِيَ افريقية سنة ست و أربعين (تاريخ العلامة ابن خلدون ، ج . 6 ، ص 20).

وعند مقارنة كلام ابن خلدون هذا بكلام من سبقه من المؤرخين ، يتبين أن ما قاله عن تولية عمرو بن العاص لابن خالته عقبة بن نافع على إفريقية و انتهائه إلى قبائل لوّاتة و مزّاتة " فأطاعوا ثم كفروا ، فغزاهم وقتل و سبى " يتفق إلى حد بعيد ، مع ما قاله ابن عبد الحكم (ت . 257 هـــ – 871 م) في حديثه عن " ذكر فتح برقة " من أن عمرو بن العاص " وجه .... عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة (*)

(**) مجموعة من الواحات في الصحراء في منتصف الطريق بين فزّان وأرض كانم،تقريبا يبلغ طولها، حـــوالي 80 كلم، من الجنوب إلى الـــشمال،ولا يتجـــاوز عرضـــها 3 أو 4 كلـــم (E.I.,T.II,art.Kawar, PP.879-880:H.Basset)

(*) زويلة: السودان:هي قصبة فزّان،تقع على بعد 10 أيام شمال ودان،من ناحية بلاد السودان A grohmann . E.I–T.IV, art.zawilat al- sudan , P.1289)

وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين " (كتاب فتوح إفريقية و الأندلس ، النص العربي مع الترجمة الفرنسية لـ A.gateau ، الجزائر 1948 النص العربي ، ص 36 ، الترجمة الفرنسية ص 37).

غير أن ابن خلدون ، مثل ابن عبد الحكم ، لا يشير إلى الرسالة التي قال البلاذري (ت . 279 هـ 892 -893 م) إن ابن العاص وجهها إلى الخليفة عمر بن الخطاب ليعلمه فيها أنه " قد ولى عقبة بن نافع زويلة و أنّ منْ بين زويلة و برقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم، و قد أدّى مسلمهم الصدقة و أقر معاهدهم بالجزية ، و أنه قد وضع على أهل زويلة ، و من بينه و بينها ، ما رأى أنهم يطيقونه ، و أمر عمّاله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردونها في الفقراء ، و يأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر و أن يأخذوا من أرض المسلمين العُشر و نصف العشر ، و من أهل الصلح صلحهم (كتاب فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية ، ج . 1 ، ص 264-265).

كما يتبين كذلك أن ما قاله ابن خلدون عن افتتاح غدامس سنة 42 هـ/661-662 م و ما تلاه في السنة التي بعدها أي سنة 43 هـ/662 م من فتح ودان وكوّار واثخانه في تلك النواحي التي كان فيها جهاد و فتوح ، ثم ولاّه بعد ذلك معاوية على إفريقية سنة خمسين (669 - 670 م) يختلف في تفاصيله مع ما ذهب إليه كلّ من ابن عبد الحكم والبكري (ت.487 هـ - (1093-1094م) حيث يذكران صراحة أن عقبة ولّى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة البكري: المُغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، ط . الجزائر 1857 ، ص 12-13 ، مع ملاحظة أن ابن عبد الحكم يطلق على غدامس تسمية مغدامش (نفسه).

و يستنتج من استعمالهما فعل " دخل "أمام كلمة غدامس ، أنها كانت مفتوحة ، وهناك " أدركه الشتاء و كان مضعفا " (فتوح افريقية و الأندلس ، ص60). و علم أن أهل ودان قد نقضوا عهدهم ، و امتنعوا عن دفع ما كان بسر بن أبي أرطأة أوابن أرطأة قد

فرضه عليهم ، بعدما بعثه إليها عمرو بن العاص ، من سرت [*] أثناء حصاره لطرابلس سنة 23 هـ /(642-643 م) (البكري: المغرب ، ص12) أو في سنة 26هـ/(645-646)م (فتوح افـــريقية و الأندلس ، ص60) .

و يختلف ما جاء في روايتي ابن خلدون المذكور تين أيضا عما جاء في روايتين للبلاذري في نفس الموضوع ، و تفيد أولاهما أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان " ولّى معاوية بن حديج السكوني مصر ، فبعث سنة خمسين عقبة ابن نافع ... الفهري إلى إفريقية فغزاها واختطها " كتاب فتوح البلدان ، جـ- 1 ، ص268 أي أن ابن حديج،حسب هذه الرواية هو الذي ولّى عقبة على إفريقية.

أمّا الرواية الثانية ، فقد ورد فيها أنه ، بعد وفاة عمرو بن العاص بمصر، يوم عيد الفطـــر سنة 42 هـ أو 43 هـ (661-662-663 م) ،خلفه ابنه عبد الله على ولايتها، فعزله الخليفة معاوية بن أبي سفيان بمعاوية بن حديج فأقام بها أربع سنين، وجه أثنـــاءها " عقبة بن نافع ... و يقال بل ولاه معاوية المغرب ، فغزا إفريقية، في عشـــرة آلاف من المسلمين ... ، واختط قيروانها " (فتوح البلـــدان ، 1 ، ص 269). و البـــلاذري هنا يرجّـح ، كما هو واضح أن يكون ابن حديج هو الذي ولّى عقبة على افريقية، ويكون تاريخ تلك الولاية، وفق هذه الرواية متفقا، تقريبا، مع ما رواه ابن خلدون عن الواقدي أي حوالي ســـنة 46 هـ- (665 -666 م)... ويلاحظ أن ابن خلدون لم يتوقف عند ما أورده المالكي (ت.453 هـ /1060-161م) نقلا عن أبي العرب (ت.333 - هـ944م) من أن والي مصر سعيد بن يزيد الأنصاري

---

[*] سُرت أو سِرْت : تقع في خليـج سرت الكبرى، على ساحل البحر ، بين طرابلس وأجدابية (Ettore Rossi) E.I,T.IV,art.Syrte,P.603):

هو الذي " وجّه ... عقبة ... واليا علي إفريقية بجيوش من قبله عددهـــــم عشرة آلاف ، سنة سبع و خمسين (675-676 م) فافتتح كل ما مرّ به في طريقه ، حتى وصل إلى موضع " القيروان " (كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و عبادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضلائهم و أوصافهم ، نشره حسين مؤنس ، القارة 1951 ، ج1 ، ص 20-22). كما لم يتوقف عند رأي ابن الأثـــــير(ت.630 هـ/1233م) القاضي بأن مسلمة بن مخلد عُين ، حسب أبي جعفر الطبري ، على ولاية افريقية سنة 50 هـ(670) خلفا لعقبة الذي كان قد بنى القيروان ولكن أهل التاريخ من المغاربة جعلوا سنة 50 تاريخا لتعيين عقبة في تلك الولاية التي استمرت إلى سنة 55 هـ/673-674 م و فيها أسست القيروان،ثم جاء بعده مسلمة ، و قد اختار ابن الأثير الأخذ برواية هؤلاء لترجيحه أنهم أكثر إحاطة بتلك المعلومات: و مفادها أن معاوية بن أبي سفيان عيّن سنة 50هـ- 670م ، مكان معاوية بن حُديج ، عقبة بن نافع الفهري الذي كان مقيما ببرقة وزويلة ، منذ فتحها أيام عمرو بن العاص، و له في تلك النواحي جهاد و فتوح ، فدخل افريقية بالعشرة آلاف فارس الذين أرسلهم إليه الخليفة، عند تعيينه، مع ما انضاف إليه ممن أسلم من البربر (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء القاضي ، ط.الثالثة ، دار الكتاب بيروت 1418 هـظ1998 م ، مج .3 ص 320 ; Annales du Maghreb et de l'Espagne, traduite par E.Eagnan, Revue africaine n^0 323 ; 1896,PP.365-366).وبنفس الرواية أخذ النويري (ت.732 هـ/1332 م) لكن بدون أية مناقشة ولا تبرير(Histoire de la conquête de l'Afrique septentrionale par les musulmans et histoire de ces pays sous les émirs arabes, dans Ibn Khaldoun histoire des Berbers et des dynasties de l'Afrique septentrionale,T.1,traduite de l'Arab par le baron de slane, Appendice II,P.327).

فمن الواضح أن تولية عقبة على افريقـــية ، جاءت بعد غزوته لودان

وكوّار سنة 43 هـ/662-663 م حسب ابن خلدون الذي لم يتعرض إلى تفاصيل نشاطه في تلك المنطقة و التي سجلها كل من ابن عبد الحكم و البكري و مفاد كلا مهما أن عقبة لما علم أن أهل ودان نقضوا عهدهم ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، استخلف على جيشه ، بغدامس ، زهير بن قيس البلوي وعمر بن علي القرشي (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 60 ، لا يذكر البكري عمر بن علي القرشي ، مع أنه نقل معلوماته عن ابن عبد الحكم (أنظر. المُغرب ، ص 13). ثم زحف بنفسه على تلك المدينة في 400 فارس ، و أربعمائة بعير و ثمانمائة قربة ماء ، فافتتحها و أخذ ملكها فجذع أذنه ، و لما سأله ذلك الملك: لِمَ فعلت هذا بي، و قد عاهدتني ؟ حسب تعبير ابن عبد الحكـــم ، أو و قد عاهدني المسلمون ؟ حسب تعبير البكري ، أجابه عقبة: أدبًا لك ، إذا مسست أذنك ، ذكرته ، فلم تحارب العرب ، و استخرج منه ما كـــان بُسر قد فرض عليه " ثلاث مائة رأس وستين رأسا " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص60 ، البكري: المغرب ، ص13).

و من ودّان قصد جرمة ، وهي مدينة فزّان العظمى ، فنزل على ستة أميال منها بعد مسيرة ثماني ليال ، و أرسل يدعو سكانها إلى الإسلام ، فأجابوا ، و خرج ملكهم للقائه فبعث عقبة خيلا حالت بين الملك و موكبه ، و أمشته راجلا حتى وصل إليه " و قـــد لغب [*] و كان ناعما فجعل يبصق الدّم ، فقال له: لم فعلت هذا بي و قد أتيتك طائعا ، فقال عقبة: أدبا لك ، إذا ذكرته لم تحارب العرب و فرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبدا " (فتوح ، ص 62 ، المغرب ، ص13). و بعد ذلك اتجه نحو المشرق ففتح قصور فزان ثم قصد قصبة كوّارأو خاوار أو جاوان (قارن فتوح،ص 62) ، المُغرب، ص 13 على بعد خمس عشرة ليلة، و حاصرها مدة شهر و لم يتمكن منها فراح يفتح قصور كوّار ، الواحد تلو الآخر ، حتى انتهى إلى أقصاها ، و فيه ملكها ، فأخذه و " قطع اصبعه ، فقال لم فعلت هذا بي ، قال

---

[*]لَغَبَ: أعيَا أشدّ الإعياء (لسان العرب ، مج ، 55 ، ص. 375).

أدبا لك ، إذا أنت نظرت إلى اصبعك لم تحارب العرب ، و فرض عليه ثلاثمائة عبد و ستين عبدا " (فتوح ، ص 62 ، المغرب ، ص 13).

ومن هناك عاد إلى قصبة كوّار، دون أن يتعرض لها، بل مضى في طريقه، إلى أن توقف على بعد ثلاثة أيام منها، و هناك نفذ ما كان معه من ماء حتى كاد العطش يهلك أصحابه، فصلى بهم " ركعتين ودعا الله وجعل فرس (هـ) ... يبحـــــث بيديه في الأرض، حتى كشف عن صفاة ، فانفجر منها الماء ، فجعل الفرس يمصّ ذلك الماء فأبصـــــره عقبة ، فنادى في النـــــاس أن احفروا ، فحفروا سبعين حسيا فـــــشربوا واســـتــقوا فسمي ماء فرس"(فتوح ، ص 64 65 ، المُغْرب ، ص 13-14).

و بعدئذ رجع عقبة إلى تلك القصبة، من غير الطريق التي أقبل منها،ليباغت سكانها ليْلا واستولى على مدينتهم، و استباح ما فيها من ذرياتهم وأموالهم، و قتل مقاتليهم ، ثم انصرف إلى زويلة، و منها التحق بعسكره ، بعد غياب دام خمسة أشهر ، ثم توجه إلى المغرب مجانبا الطريق الأعظم أو الجادة ، وافتتح ، أثناء زحفه ، كل قصور مزاتة ، ثم قفصة و قصطيلية [*] أو قسطيلية قبل وصوله إلى القيروان (فتوح ، ص 65 ، المُغرب ، ص 14، مع الإشارة إلى أن ابن عبد الحكم يذكر أن عقبة قد أرسل خيلا إلى غدامس فافتتحها قبل أن يفتح قفصة (فتوح ، ص 65) ذلك لأنه يعتبر غدامس غير مغمداش التي قال بأن عقبة نزل بها، وهو في طريقه إلى المغرب، قبل زحفه على ودان وفزان وكوّار).

تأسيس عقبة للقيروان:

وعن بقية المعلومات الخاصة بنشاط عقبة في ولايته الأولى يفيد ابن خلدون،أنه عندما سار إلي إفريقية بعشرة آلاف فارس ، كبر جمعه بمن " انضاف إليه من

---

[*] **قسطيلية** أو قصطيلية هي:تسمية أطلقها المؤلفون العرب على منطقة البلاد التونسية المحادية للشطوط وتوزر، وهي أهم منطقة بتلك الناحية (G.yver E.I.T.II.art.Kastiliya. pp.8555-856:)

مسلمة البربر... (ف) وضع السيف في أهل البلاد ، لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا ، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا ، فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البربر، فاختط القيروان ، و بنى بها المسجد الجامع ، و بنى الناس مساكنهم ، و كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع (*) ، و كملت في خمس سنن، و كان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب ، و دخل أكثر البربر في الإسلام، و اتسعت خطة المسلمين و رسخ الدين (تاريخ العلامة ابن خلـــدون ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص20).

وهذه المعلومات تتفق ، في مضمونها مع ما أورده كل من المالكي (طبقات علماء افريقية و تونس ، ج . 1 ، ص6) و ابن الأثير (الكامل ، ج .3 ص 320) وابن عـــذارى (البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ح.س كولان وإ.ليفي بروفنسال ،ط بيروت ،ج1 ص 19والنويـــري (Conquête de l'Afrique septentrionale.P.327 et 331) غير أن ابن خلدون، كما يلاحظ ، لم يشر إلى معلومات كثيرة أوردها مَنْ سبقه مِنْ المؤرخين ومنها: ما ذكره ابن عبد الحكم: أن عقبة ، عندما وصل منطقـــــة القيروان " لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم " (فتوح إفريقية و الأنـــــدلس ، ص64)، و ما يتفق في شأنه كل من المالكي والنويري و هو أن موضع القيروان كان حصنا لطيفا للروم يُسمى " قمونية " وكان به كنيسة بها ساريتان حمروان ، حملهما الأمير زيادة الله بن الأغلب إلى مسجد القيروان الجامع ، فيما بعد ، و بقيتا في المكان الذي وضعهما

(*) الباعُ و البَوْعُ: مسافة ما بين الكفين ، إذا بسطتهما، وهو قدر مد اليدين، وما بينهما من البدن (لسان العرب ، مج . 1 ، ص 288.)

فيه أيام المالـــــــكي (النصف الأول من ق.4 هـــ/10 م) (كتاب رياض النفوس، ج1،ص 21؛Conquête de l'Afrique septentrionale, P.330)

و لم يشر ابن خلدون أيضا إلى الجدل الذي وقع بين عقبة وبين أصحابه، ــ في شأن اختيار موقع القيروان و الذي انتهى بقبول اقتراحه عليهم ببنائها في مكان يكون بعيدًا عن البحر بما لا يوجب فيه التقصير للصلاة حتى لا تكون عرضه لما قد تشنها عليها القوات البحرية البيزنطية من غارات ، و يكون في آن واحد ، قريبا من سبخة لتكون أكثر دوابهم ، و هي الإبل المستخدمة في المغازي والجهاد ، آمنة في مرعاها من البربر و النصارى (كتاب رياض النفوس ، ج1، ص6 ، ابن عذارى: البيان ، جـــ .1 ، ص19).

كما لم يشر إلى أن موضع القيروان كان واديا كثيف الأشجار والأحراش، كثير الحيّات (*) و العقارب و السباع و الذئاب و غيرها من الحيوانات المفترسة ، و كـــــان في عسكره ثمانيـــــة عشر رجلا من أصحاب رسول الله – صلعم – و سائرهم من التابعين ، فدعا الله سبحانه ، و أصحابه يؤمنون على دعائه ، و مضى إلى السبخة و واديها (ابن عذارى: البيان ، جـــ 1ص20 ، En Noweiri :Conquête, P.328 ، حسب المالكي ، فقد كان في عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله – صلعم – وسائر ذلك تابعون (كتاب رياض النفوس ، ج.1، ص7). وأخذ ينادي بأعلى صوته مدة ثلاثة أيام (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 64 و66).أو ثلاث مرّات (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 66 . يأهل الوادي " ارحلوا رحمكم الله " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 64)أو " اظْعنُوا " (*) (فتوح ، ص66 ، أبو العرب طبقات علماء افريقية، ص57).

(*)الحيات جمع حية، وهي الحنش المعروف(لسان العرب، مج.1، ص776).

(*) اظعنوا: اذهبوا سيروا (لسان العرب، مج.4،ص 644)

أو " أيتها السباع ارتحلوا،فإنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " (المالكي: كتاب رياض النفوس ، ج.1، ص7 ، ابن عذارى: البيان ، 20 ، قارن: ، En Noweiri :Conquête, P.328) أو " " فإنا نازلـــــون " (ابن عبـــــد الحكم: فتوح ، ص64 ، أبو العرب: طبقات ، ص57 ، ابن عذارى: البيان ،1 ، 205 ، يذكر أبو العرب رواية ثانية مفادها أن صاحب هذا الدعاء هو الصحابي والي مصر عقبة بن عامر الذي غزا افريقية قبل عقبة ابن نافع وأسس القيروان (طبقات علماء افريقية و تونس ، ص58 – 59) و إنا مَنْ وجدناه قتلناه " (أبو العرب: طبقات، ص57 ، ابن عذارى: البيان ، 20 ، ابن الأثير: الكامل ، 3 ، En Noweiri p 328-320.)

و لم يلاحـــــظ ابن خلدون أن عقبة كان مستجاب الدعوة أو الدعاء ، كما فعل بعض سابقيه (أنظر: أبو العـــرب: طبقـــــات، ص57 ، ابن الأثير: الكامل، جـــ3، 320 ، En Noueiri :Conquête, P.328) و أن الحيّات نتيجة ذلك " جعلت ... تنساب و العقارب و غيرها ممّا لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة" (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 66 ، قارن. أبو العرب: طبقـــات ، ص57–58) أو أن السباع كانت " تخرج من الشعراء و تحمل أشبالها و الذئب يحمل أجراءه والحية تحمل أولادها، سمعا وطاعة " (المالكي: رياض النفوس ،1، 7 ، ابن عذارى ، البيان،1 ، 205 ، قارن ، En Noweiri :Conquête, P.328) فأخذ ينادي في أصحابه " كفوا عنهم حتى يرحلوا " (المالكي: رياض النفوس،1، 7 ، ابن عذارى، البيان ،1 ، 205). فوقف الناس ينظرون إليها وهي ترحل عنهم ، مِن حين أصبحوا حتى أوّجهم حر الشمس (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص66 ، أبو العرب: طبقـــات، ص58 ، ابن عذارى: البيان، 1 ،20) و قد نتج عن هـــذا المشهد اعتناق " قبيل كثير من البربر " للإسلام (En Noweiri :Conquête, P.328)

وعندها نقل عقبة الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله، قبله

إلى ذلك المكان وأمرهم بالتنقية والتخطيط (ابن عبد الحكم: فتوح، ص66) أو أن أصحابه ، بعدما صاروا لا يرون شيئا منها نزلوا الوادي (فتوح، ص66 ، أبو العرب: طبقات ، ص57 ، المالكـــــي: كتاب رياض النفوس، ج.1 ، ص7) وأمرهم " أن يقتطعوا ويختطوا ، و أسس دار الإمارة و اتخذ لها من الخمس ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين " (المالكي: رياض ، 1 ، ص7).

وأقام أهل إفريقية بعدئذ أربعين سنة لا يرون فيها حية و لا عقربا (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص66: أبو العرب: طبقـــات ، ص59 : ابن عذارى : البيان، 1 ، 20؛ En Noweiri :Conquête, (P.328) و لا سبعا (ابن عذارى: البيان ،1 ، ص 20) بحيث أنه"لو التُمسَت حية أو عقرب بألف دينار ما وجدت " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص66 ، أبو العرب: طبقات ، ص59).

و لما اختط عقبة المسجد الأعظم ، اختلف الناس عليه في القبلة، و طلبوا منه أن يجهد نفسه في تقويمها، طالما أن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم عليها، و أقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ، و إلى مشارق الشمس، فلما رأى اختلاف أمرهم ، بات مغموما و دعا، الله عز وجل، أن يفرّج عنه، فأتاه آت في منامه، وطلب منه أن يجعل اللواء على عنقه، في الصباح، فيسمع، دون غيره من المسلمين تكبيرا ثم ينظر الموضع الذي ينقطع فيه عنه التكبير، فهو قبلته و محراب مسجده (المـــالكي: رياض النفوس، ج.1، ص8–9، ابن عذارى: البيان ،1 ، ص 20–21 ، En Noweiri :Conquête, P.329) وقال له بأن الله قد " رضي ... لك أمر هذا العسكر وهذا المسجد و هذه المدينة ! وسوف يعز الله بها دينه ويذل بها من كفر به ! " (ابن عذارى: البيان ، جـ 1 ، ص 21 ، En Noweiri :Conquête, P.329)

وحين استيقظ عقبة وصلى ركعتي الفجر(المالكي: رياض ، 1 ، ص9) أو صلى بالمسلمين ركعتـــــــي الصـــــبح (ابن عذارى: البيان ، 1 ، ص21)

سمع ، دون غيره ، التكبير، فوضع اللواء على عنقه ، و أخذ يمشي إلى أن انقطع ذلك التكبير، فركزه على الأرض، و قال لهم " هذا محرابكم ! " و اقتدت به سائر مساجد المدينة ، و بعدها أخذ الناس في بناء الديار و المساجد و غير ذلك (المالكي: المصدر السابق، ص9 ، ابن عذارى: البيان ج 1 ، 21 ؛ En Noweiri) (.Conquête, PP.329-330

عزل عقبة عن ولاية إفريقية وإعادته إليها:

فيما يخص تنحية عقبة عن ولايته ثم إعادته إليها، يذكر ابن خلدون مرّة أن " معاوية بن أبي سفيان" ولّى على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري، واستعمل على إفريقية مولاه أبا المهاجر، فأساء عزل عقبة و استخف به ، فسير ابن مخلد الأنصاري عقبة إلى معاوية، و شكا إليه، فاعتذر له، و وعده برده إلى عمله، ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين 680-681 م " (تاريخ العلامة ابن خلدون، ج .6، ص20) و يذكر، في مكان آخر، أن ولاية عقبة استمرت على إفريقية " إلى أن ولي يزيد بن معاوية (الخلافة) و ولّى على إفريقية أبا المهاجر ... "(تاريخ العلامة ابن خلدون، ج.6، ص20)كما يشير إلى رواية الواقدي التي تفيد أن " عقبة ولى إفريقية سنة ست و أربعين (665-666 م) فاختط القيروان ، ثم عزله يزيد سنة اثنتين و ستين بأبي المهاجر، فحينئذ قبض على عقبة وضيّق عليه، فكتب إليه يزيد ببعثه إليه، و أعاده واليا على إفريقية .... " (تاريخ العلامة ابن خلدون ج.6، ص20).

و يلاحظ هنا أن ابن خلدون لم يحدد، في إشارته الأولى، تاريخ عزل عقبة لكنه يحدد تاريخ بداية ولايته الثانية سنة 62 هـ/680-681 م في حين لم يذكر في إشارته الثانية أي تاريخ ويشير إلى رواية الواقدي التي تحدد تاريخ إنهاء يزيد بن معاوية لتلـــــك الولاية بسنة 62 هـ/680-681 م دون أ ي تعليق.

مع العلم أن ابن عبد الحكم قبله، حدد تاريخ عزل مسلمة بن مخلد لعقبة عن ولايته الأولى بسنة 51 هـ/670-671 م وأفاد أن مسلمة هو أول من جمعت له مصر والمغرب سنة 47 هـ/666-667 م (فتوح افريقية والأندلس، ص66) أي أن عملية العزل حسب هذه الرواية، كانت بعد خمس سنوات من تولية مسلمة على مصر و إفريقية ، كما حدّد المالكي نقلا عن أبي العرب، تاريخ تولية سعيد بن يزيد الأنصارى لعقبة و تاريخ تنحية مسلمة بن مخلد له بنفس السنة و هي سنة 57 هـ/675-676 م (رياض النفوس، ج.1، ص21 ، يعلق ناشر كتاب المالكي، حسين مؤنس، قائلا: إن المالكي يخلط هنا في التواريخ و ترتيب الحوادث ملاحظا أن معاوية لم يعزل مسلمة عن مصر ، بل ظل واليا عليها من سنة 47 هـ667 م إلى أن مات سنة 62 هـ 682 م (أنظر كتاب رياض النفوس ، جـ 1 ، 21، هامش 1).

و جاء في البيان المغرب أن عقبة شرع في بناء مدينة القيروان سنة 51 هـ/ 670-671 م واستمرت ولايته عليها أربعة أعوام إلى سنة 55 هـ/ 674-675 م، حيث عزله والي مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد(ابن عذارى: ج1، ص20-21) ، أما ابن الأثير فلا يتفق مع أبي جعفر الطبري فيما ذهب إليه من أن مسلمة بن مخلد، عيَّن سنة 50 هـ -670 م واليا على إفريقية خلفا لعقبة الذي بنى القيروان، أي أن عملية عزل عقبة ، حسب هذه الرواية، تمت سنة 50 هـ/ 670م بل يرجح ما يذكره أهل التاريخ من المغاربة ،لأنهم في رأيه أخبر ببلادهم " و هو أن بداية ولاية عقبة كانت سنة 50 هـ/670 م واستمرت إلى سنة 55 هـ/ 674-675 م (الكامل، 3، ص320) و هو نفس ما ذهب إليه النويري (Conquête de l'Afr.sept.p.327 sqq)

و ما يلفت الانتباه في المعلومات التي زوّدنا بها ابن خلدون، في موضوع تنحية عقبة عن ولاية إفريقية ثم إعادته إليها أنها لم تتعرض إلى تفاصيل كثيرة منها: تلك المتعلقة بإساءة أبي المهاجر إليه أثناء عزله، حيث يذكر بعض من سبقه

من المؤرخين أنه قيّده في الحديد و سجنه، و كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه، أي القيروان، و نزل على بعد ميلين منه (ابن عبد الحكم: فتوح، ص 67 و67 ، ابن عذارى : البيان ،1 ، ص 22) واختط مدينة أخرى " أراد أن يكون له ذكرها، و يفسد عمل عقبة .... ، و أخذ في عمرانها، و أمر الناس أن تحرق القيروان و أن يعمروا مدينته " (ابن عذارى : البيان، جـ 1 ، ص22 ، En Noweiri :Conquête, P-330) التي أطلق عليها البربر تسمية القيروان (En Noweiri :Conquête .p330 أو تِيكَرَوان (أبو العرب: طبقات، ص57).

و لم تتعرض تلك المعلومات أيضا إلى ما رواه أبو بكر المالكي عن أبي العرب، و مفاده أن معاوية بن حديج الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية سنة 50 هـ/670 م احتفر الآبار التي كانت تسمى في وقته (وقت المالكي) " أبار حديج " بباب تونس (من القيروان) ، و بنى بناحية القرن مساكن سماها " قيروانا " و لم يكن آنذاك موضع القيروان معمورا ولا مسكونا،ثم عزله معاوية بن أبي سفيان عن مصر بمسلمة ابن مخلد الأنصاري ، فوجه خالدًا ابن ثابت الفهمي إلى افريقية سنة 54 هـ/673-674 م ثم عزله بمولاه أبي المهاجر سنة 55 /هـ674-675م، فنزل بدكرور ، مدينة البربر ، قرب موضع " القيروان " ثم إن معاوية بن أبي سفيان عزل مسلمة بسعيد بن يزيد الأنصاري ولحق أبو المهاجر بمولاه فوجه سعيد عقبة بن نافع واليا على إفريقية سنة 57 هـ/ 676-677 م فافتتح كل ما مر به في طريقه حتى وصل إلى موضع القيروان، ثم عزل معاوية سعيدا ابن يزيد بمسلمة بن مخلد فرد أبا المهاجر إلى إفريقية فوصلها سنة 57 هـ/676-677 م . وحبس عقبة، و ضيق عليه (رياض النفوس ، ج1، ص18 فما بعدها من عدة صفحات).

و لا تتضمن معلومات ابن خلدون ما ذكر من أن مسلمة حين ولّى أبا المهاجر أوصاه أن يعزل عقبة أحسن عزل، لكنه خالف وصيته (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص66) وأن الخليفة معاوية ابن أبي سفيان هو الذي طلب من أبي المهاجر

في رسالة بعثها إليه، بإطلاق صراحه وإرساله إليه،فكان ذلك، و خرج عقبة حتى أتى مكانا يسمى قصر الماء، فصلّى ودعا قائلا: اللهم لا تمتني حتى تمكنني من أبي المهاجر دينار بن أم دينار، فبلغ ذلك أبا المهاجر، فلم يزل خائفا من دعائه، منذ ذلك الوقت (ابن عبد الحكم: فتوح، ص66 و 68 ، رياض النفوس، ج.1، ص21 ، ابن عذارى: البيان جـــ.1 22.) و جاء دعاء عقبة على أبي المهاجر، بعدما بلغه أنه أمر الناس بإحراق القيروان و تعمير المدينة التي أحدثها هو (ابن عذارى: البيان جـــ.1 ص22).

و لا تتضمن معلوماته، كذلك، ما قيل: إنه، عندما وصل إلى مصر قدم إليه مسلمة ابن مخلد راكبا، و أقسم له بالله أنه أوصى به، خاصة، أبا المهاجر و أنه خالفه فيما صنع (ابن عبد الحكم: فتوح، ص68). أو أن ذلك الاتصال كان بعد عودة عقبة من الشام ، حيث عُيّن، للمرة الثانية، على ولاية المغرب، و فيه اعتذر مسلمة إليه من فعل أبي المهاجر، و أقسم له بالله أنّه " خالف رأيه فيما صنع، و أنه أوصاه به، و أمره بتقوى الله وحسن السيرة ، و أن يعزل عقبة، أحسن عزل، فإن أهل بلده يحسنون القول فيه، فخالفني و أساء عزلك، فقبل منه عقبة " الرّقيق القيرواني (تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق و تقديم المنجي الكعبي، ط. تونس 1968 ، ص 40 ، ابن عذارى: البيان ، جـــ1 ،23 ؛ En Noweiri .:(Conquête, P-331

و لم يوضّح ابن خلدون مضمون الشكوى التي رفعها عقبة إلى معاوية والتي قال فيها: " فتحت البلاد ، و بنيت المنازل، و مسجد الجماعة، و دانت لي، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 68 ، ابن عذارى: البيان ، جـــ 1 ،22 ، En Noweiri :Conquête, P-330) أو أن عقبة، عندما وصل الشام ، وجد معاوية قد توفي، و تولى بعده ابنه يزيد ، فدخل عليه و أخبره بما صنع به، ومما قاله له: " لما افتتحتم افريقية ، بنيت مسجد

الجماعة [ثم] بعثتم عبد الأنصاري فأهانني وأساء عزلي " (المالكي: رياض النفوس، 1 ، 22).

و لم يتناول أيضا ما اعتذر به معاوية لعقبة قائلا: " قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام المظلوم (عثمان) و تقديمه إياه و قيامه بدمه ، و بذل مُهجته " (ابن عبد الحكم: فتوح، ص70 ، ابن عذارى ، جـ1 ، ص22) و لا الرواية التي تفيد أن معاوية هو الذي ردّ عقبة إلى ولايته (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص70) و تلك التي قيل فيها، إن عقبة " قدم على يزيد بن معاوية ، بعد موت أبيه ، فرده واليا على افريقية " و التي يميل ابن عبد الحكم إلى تصديقها: بحجة أن معاوية توفي سنة 60 هـ/78 –679 م ، أي قبل سنتين من تعيين عقبة في ولايته الثانية (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص70).

و مماّ لم يتوقّف عنده ابن خلدون قول يزيد لعقبة، بعد إعادة تعيينه في منصبه " أدركها (أي القيروان) قبل أن تفسد ! " (ابن عذارى: البيان جـ 1 ، 22، En Noweiri :Conquête, P-331) و أنه بعدما رده على إفريقية " قطعها على مسلمة بن مخلد والي مصر " (ابن عذارى: البيان جـ 1 ، 22 . و أنه قدم مصر " و عليها عمرو بن العاص ، في خلافة معاوية فنزل منزلا من بعض قراها و معه عمرو بن العاص و عبد الله بن عمرو، و جماعة من أصحاب رسول الله،صلى الله عليه وسلم ، فوضع بين أيديهم سفره فيها طعام ، فلمّا تناولوا من الطعام،ضربت حداة (*) على الطعام الذي بين أيديهم فأخذت منه عرقا (**)،فقال عقبة اللهم دق عنقها(***) ، فاسترجع عمرو فسمعه عقبة يترجع ، فقال: ما بالك يا

(*)الحداة:طائر يصيد الجردان(لسان العرب،مج،ص850)

(**)العَرق العظم،إذا أخذ عنه معظم اللحم وهبره وبقي عليها لحوم رقيقة فتكسر وتطبخ،ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق(لسان العرب مج،4،ص 751).

(***)قال إنا لله و إنا إليه راجعون(لسان العرب، 2 ، 1130).

عبد الله ، قال بلغني أن نفرًا من قريش يخرجون من هذا الموضع، فيستشهدون جميعا، فقال عقبة: اللهم أنا منهم " (البكري: المغرب، ص 72).

أو أن عقبة قدم " من عند يزيد بن معاوية في جيش ... فمرّ على عبد الله بن عمرو و هو بمصر، فقال له عبد الله ... " يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برجالهم " (أبو العرب: طبقات علماء افريقية و تونس، ص 59) أو برحالهم (ابن عبد الحكم: فتوح، ص 72 ، رياض النفوس، ج.1، ص27 ، البكري: المغرب ، ص72).

أو أنه قال له: " أياك أن تكون لعنة أرامل أهل مصر فإني لم أزل أسمع أنه سيخرج رجل من قريش في هذا الوجه فيهلك فيه " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص74).

و أنه وصل إفريقية مُجدًا ، مسرعا، لحنقه على أبي المهاجر فأوثقه " في وثاق شديد و أساء عزله " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 70 ، ابن الأثير : الكامل ، 3 ، 450). أو أنه أوْثقه " في الحديد ، و أمر بتخريب مدينته ، و رد الناس إلى القيروان " (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب ، ص40 ، ابن عذارى : البيان ، جـ .1 ، ص 23 ، En Noueiri :Conquête, P-331 ، قارن أبو العرب " المصدر السابق، ص57).

ثم " ركب في وجوه عسكـــــــره و من معه من الصحابة و التابعين " (ابن عذارى : البيان، ج.1، 23) أو أنه " جمع وجوه أصحابه و كبراء العسكر " (المالكي: رياض ، 1 ،ص 6) أو " وجوه أصحابه من التابعين والعباد " (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية ، ص40).

و كان معه خمسة و عشرون من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم

(أبو العرب: طبقات، ص56 ، المالكي: رياض النفوس، جـ 1، ص 6) فدار بهم حول مدينة القيروان ، و هو يدعو لها ، قائلا: " اللهم إملأها علما و فقها ، واعمرها بالمطيعين، و العابدين ، و اجعلها عزًا لدينك ، و ذلا لمن كفر بك ، و أعز بها الإسلام ، و امنعها من جبابرة الأرض ... " (نفسه ، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية ، ص 40 ابن عذارى البيان جـ ،1 ، 24).

حملة عقبة بن نافع على المغرب الأقصى:

عن موضوع الحملة التي قام بها عقبة بن نافع على النواحي الغربية ، من بلاد المغرب انطلاقا من إفريقية ، يذكر ابن خلدون ، مرّة ، أنه " استفتح حصون الفرنجة ، مثل باغاية و لميس ، و لقيّه ملوك البربر بالزاب و تاهرت ففضهم ، جمعا بعد جمع و دخل المغرب الأقصى و أطاعته غُمارة و أميرهم يومئذ يليان ، ثم أجاز إلى و ليلى ثم إلى جبال درن ، و قاتل المصامدة ، و كانت بينه و بينهم حروب ، و حاصروه بجبال درن ، و نهضت إليهم جموع زناتة ، و كانوا خالصة للمسلمين ، منذ إسلام مغراوة ، فأفرجت المصامدة عن عقبة، و أثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام ، و دوّخ بلادهم ، ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللّثام ... فأثخن (*) فيهم وانتهى إلى تارودانت و هزم جموع البربر، و قاتل مسوفة من وراء السوس و سبى منهم ، و قفل راجعا " (ابن خلدون: تاريخ العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ط. دار الكتاب اللبناني 1959، مج 6،ص 217).

و يذكر مرة أخرى ، أن عقبة " زحف على المغرب ، و على مقدمته زهير بن قيس البلوي فدوّخه (*) ، و لقيـــــــه ملوك البربـــــر، و من انضمّ

(*)أثخن أي غلب وقهر(لسان العرب، 1 ، 350).

(*) ذلّه و جال فيه(لسان العرب ، 2 ، 1031).

إليهـــم من الفرنجة بالزاب و تاهرت ، و استبحاهم (**) و أذعن له يليان ، أمير غمارة ، و لاطفـــه و هاداه ، و دلّـــــه على عورات (***) البرابرة وراءه، و ليلة و السوس ، و ما والاهما من مجالات الملثمين ، فغنم و سبى ، وانتهى إلى ساحل البحر ، و قفل ظافرا " (ابن خلدون، تاريخ العبر، ص 297-298).

و يلاحظ أن ابن خلدون لم يسجل هنا معلومات كثيرة أشار إليها مؤرخون سابقون له، ومن ذلك: دعوة عقبة لأبنائه، قبل انطلاق حملته، من إفريقية، و قوله لهم: " إني بعت نفسي من الله ، و ما أدري ما يأتي علي في سفري " ثم قال: " يابني أوصيكـــم بثلاث خصال فاحفظوها ، و لا تضيعوها: أيّاكم أن تملأوا صدوركم بالشعـــر و تتركوا القرآن فإن القرآن دليل على الله ، عزّ وجل ، و خذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيـــــب (****) و يدلّكـــــــم على مكارم الأخـــلاق،ثم انتهـــــــوا و راءه ، و أوصيـــكم أن لا تداينوا ، و لو لبســـتم العبا[ء] (*****) فإن الدَّيْنَ ذلّ بالنهاروهمٌّ بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ويبقى لكم الحرمة في الناس ، أما يُقيم ، و لا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيُجهلوكم دين الله ، و يفرقوا بينكم و بين الله تعالى ، و لا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع و الاحتياط ، فهم أسلم لكم ، و من احتاط سلم ونجا فيمن نجا " ثم قال عليكم ســـــــلام الله! و أراكم لا ترونني بعد يومكم هذا: ثم قال: اللّهم تقبل نفسي في رضاك ، و اجعل الجهاد رحمتي و دار كرامتي عندك " ثم سار " (المالكي: رياض النفوس ، ج. 1، ص 22 ، قارن. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ص 40-41 ، ابن عذارى: البيان جـــ .1 ، ص 23-24 ، En Noweiri:Conquête,p.331- ، ابن الأثير: الكامل، 3 ، 451).

(**) انتهبهم و سباهم(لسان العرب، 1 ، 286).

(***) كل عيب و خلل في الشيئ فهو عورته(لسان العرب، 4 ، 926).

(****) اللبيب :العاقل (لسان العرب ، 5 ، 330).

(*****) العباء والعباءة:ضرب من الأكسية(لسان العرب،**4** ، **611**).

و لم يُسجل أيضا أنه استخلف على القيروان ، قبل انطلاقه ، عمر بن عليّ القُرشي ، و زهير بن قيس البلوي (ابن عبد الحكم: فتوح، ص 72 ، المالكي: المصدر السابق، ص 22) ، أو أنه " ترك لها جندا من المسلمين ، و استخلف عليهم زهير بن قيس " (الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ، ص 40 ، ابن عذارى: البـــيان ، جـــ1، ص23 ، En -Noweiri:Conquête P331).

وحده ، و أنه اصطحب معه ، في تلك الحملة ، أبا المهاجر دينار " و هو في حديد " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 70.)

كما لم يُسجل أن عقبة تقدم بعساكر كثيرة حتى دخل مدينة باغاية ، و قد اجتمع بها خلق كثير من الروم ، فقاتلوه قتالا شديدا ، و انهزموا عنه ... و غنم منهم غنائم كثيرة ، و حاصر المنهزمين في المدينة ثم كره المقام عليهم فسار إلى بلاد الزاب (ابن الأثير:الكامل ، جـــ3. 451،) أو أنه عندما هزمهم في باغاي (باغـــــــــاية) أخذ منهم خيلا كثيرة (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، ص41) لم ير المسلمون أقوى منها (En -Noueiri:Conquête P.331) و قاتلهم في لميس التي يطلق عليها الرقيق القيرواني المسن (تاريخ افريقية ، ص40) و يطلق عليها النويري تسمية لمبيزة (Conquête p332) و تابعهم إلى باب حصنهم و أصاب منهم غنائم كثيرة (Conquête p.332).

أو أن عقبة ، بعدما هزم الروم في باغاي (باغاية) سار إلى تلمسان " وهي من أعظم مدائنهم ، و انضم إليها من حولها، فخرجوا إليه ، في عدة لا يعلمها إلا الله ، عز وجل ، و [التحم القتال ، و وقع الصبر] حتى ظن المسلمون أنّهُ الفناء .... ، فقاتلوهم إلى باب حصنهم ... ثم رحل يريد الزاب " (المالكي: رياض النفوس، جـــ. 1، 235).

أو أنه خرج من القيروان غازيا ، للروم و البربر، و هم إذ ذاك مجوس

ونصارى ، و ذلك بمدينتي باغاية و قرطاجة و ما و لاهما ، فهزمهم ، و أخذ المسلمون من سبيلهم و خيلهم شيئا كثيرا (ابن عذارى: البيان، جـ.1، ص 24) ، وبعد حصاره قلعة باغاية مضى " إلى مدينة المنستير ، و كانت ... من أعظم مدائن الروم ... و خرجوا إليه ... فقاتلهم قتالا شديدا ،...، إلى أن هزمهم ... إلى باب حصنهم ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة ، و رحل عنهم (ابن عذارى: البيان ، جـ. 1، ص 24 ثم غزاهم مرة أخرى " فهزمهم ... و قتلوا ... و أصيب من غنائم ما لم يُعهد مثله " (ابن عذارى: البيان ، جـ. 1، ص 24).

و لم يتطرق ابن خلدون إلى تفاصيل الأحداث التي جرت في منطقة الزاب و مفادها: أن عقبة سأل، قبل زحفه عليها، عن أعظم مدينة لهم ، فقيل له " أدنة " (المالكي: رياض النفوس ،ج1، ص 23 أو " أربة " (ابن الأثير: الكامل، 3 ، 451 ، En -Noweiri:Conquête p332) و هي " دارٌ ملكهم ، و [كان] حولها ثلاثمائة و ستون قرية ، كلها عامرة ، فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم ، هربوا إلى حصنهم و إلى الجبال ، فنزل عقبة ، على واد منها ، على ثلاثة أميال أو أكثر ، فلقوه ، في عدة عظيمة ، في وقت السماء ، [وكان] وقت نزوله ، فكره منازلتهم ، فتواقف القوم الليل كله ، ... ، فسمّاه الناس .... " وادي سهر " لأنهم سهروا عليه ، فلما صلى الصبح ، أمر المسلمين بقتالهم ... ثم أعطاهم الله ، عز وجلّ النصر و الظفر ، فانهزم الروم ... و في هذه الغزوة ذهب عزّ الروم من " الزاب " .. ، فكره عقبة المقام عليهم ، و قد تحصنوا ، و رجل منها يريد المغرب ، حتى نزل " تاهرت " (المالكي: رياض النفوس،1 ،23 ، قران الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص 42-43).

أو أن تلك المعركة وقعت على وادي المسيلة (ابن عذارى: البيان، جـ.1، ص24) أو أنها وقعت بمدينة أربة وكان الروم والنصارى تجمعوا بها (ابن الأثير: الكامل، 3 ،451؛ En -Noweiri:Conquête p332) و هرب بعضهم إلى

الجبال، و اقتتل المسلمون و من بالمدينة ، و قُتل كثير من فرسانهم (ابن الأثير: الكامل، 3 ،451).

ولم يشر ابن خلدون إلى أن الروم استغاثوا بالبربر في تاهرت "فأجابوهم ... ، فقام عقبة في الناس خطيبا، و قال: " أيها الناس ! إن أشرافكم وخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم،وأنزل فيهم كتابه،بايعوا رسول الله،صلى الله عليه وسلم، " بيعة الرضوان " على من كفر بالله ، إلى يوم القيامة ، و هم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة... وأنتم اليوم دار غربة [وإنما بايعتم رب العالمين .... فالتقى المسلمون معهم... فولّى الروم هاربين، و مات منهم ومن البربر[عدد عظيم] .. " (المالكي: رياض ، 1 ، ص 23-24 ، قارن الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، ص43-44 ، En -Noweiri:Conquête p332). وغَنم المسلمون أموالهم وسـلاحهم (ابن الأثير: الكامل، 3 ،451).

و بعدما توالت الهزائم ، على نصارى إفريقية و بربرها، و لجأ من بقي منهم إلى الحصون والمعاقل ، و لم يبرحوها ، كره عقبة " المقام على محاصرتهم ، فيفوته الغزو و قتْل غيرهم من طوائف الكفار... فترك أهل إفريقية متحصنين بحصونهم ، و أوغل في المغرب ، يقتل و يأسر أمّة بعد أمّة ، و طائفة بعد طائفـة ، بائعا نفسه مـن مولاه ... حتى صـار بأحواز طنجة " (البيان، 1، ص25-26).

و لم يوضح بأن خروج " إليان " إليه بهدايا و تُحف و رغبته إليه في الأمان، حدث عندما " صـار إلى سبتة " (البكري المغرب، ص104) و أن عقبة "أمّنه وأقرّه في موضعه " (البكري المغرب، ص104).

كما لم يشر إلى أن عقبة بن نافع افتتح مدينة طنجة و" تعرف بالبربرية وليلى... وقتل رجالها وسبا من بها، و هي على شاطئ البحر المعروف بالزقاق .."

(البكري: المغرب، ص 108-109).

ولم يتحدث ابن خلدون عمّا قيل: إنه بعد نزول عقبة، " على البحر المحيط [وهو بحرالأندلس] (*) فقال له الناس: " هذا بحر لا نرومه(**)، وعليه ملك عظيم الشأن" فقال لهم: " دلّوني على رجال البربر والروم " فقالوا: " خلفك منهم خلق وأمامك في السوس ، أنجاد البربر " ... فرحل إلى " السوس الأدنى " فلقي البربر في عدد لا يعلمه إلا الله تعالى ، فانهزموا .. و أمعنت (***) خيل المسلميـــن في البلاد والسواحل ، و سبـــــوا النساء وغنموا الأموال ... " (المالكي: المصدر السابق، جـــ1، ص 24).

أو أنه وجد هناك " يُـــليان " أو " إليان " كما تسميه بعض المصادر، و هو" رجل من الروم... وكان شريفا في قومه... نزل على حكمه ، فسأله (عقبة) عن بحر الأندلس فقال له " إنه محفوظ لا يرام " فقال له: " دلّـــني على حال البربر والروم " فقال له: " قد تركت الروم خلفك ، و ما قدامك إلا البربر و فرسانهم،قال له: وأين موضعهم ؟ قال " في السوس الأدنى، و هم قوم ليس لهم دين، و لم يدخلوا النصرانية ، يأكلون الميتة ، و يشربون الدم من أنعامهم ، وهم أمثال البهائم ، يكفرون بالله ، عزّ وجلّ ، و لا يعرفونه ... فرحل (عقبة) من السوس الأدنى ،

(*)المقصود بالبحر المحيط هنا،حسب سياق الكلام ، هو البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي أو الشامي، كما كان يسمى) و ليس المحيط الأطلسي الذي كانت تطلق عليه عادة هذه التسمية إلى جانب البحر المظلم.

(**) رام الشيء طلبه (لسان العرب ، 2-1260)

(***) أمعنت في بلد العدوّ أي جدّت و أبعدت (لسان العرب ،5-507)

وهو مغرب مدينة طنجة التي تسمى " تارودانت " [*] ، فانتهى إلى إيوائهم ، فتلقوه ، في عدة عظيمة ، و قتلهم قتلا ذريعا ، و هرب بقيتهم ، و افترقت خيله في طلبهم ... و مضى كذلك حتى دخل السوس الأقصى (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية ، ص45 – 46 ، . En -Noweiri:Conquête p331-et 333.).

أو أن " يليان ، حسب ما ذكره ابن عذارى ، نقلا عن ابن أبي الفياض وغيره ، هو مَلِكُ يملك من طنجة " إلى ساحل المجاز بسبتة ، و كان من أشراف ملوك الروم و أعاظمهم ، و ذوي العقول و الدهاء فيهم " (البيان ، ج . 1، 265) أو هو بَطْريقهم (ابن الأثير: الكامل ، 3 ، 451 ، و البطريق هو القائد ، و هو الحاذق بالحرب و أمورها (لسان العرب ، 1 – 226) فاجتمع به عقبة " و سأله عن الأندلس ، فعظّم عليه أمرها ، و قال له: قد تركت الروم وراء ظهرك ، و ما أمامك إلا البربر... و معظم المصامدة ... فسار عقبة نحو المصامدة " (ابن عذارى: البيان ، 1 ، 26).

أو أنه لما سأله عن البربر، قال له: " هم كثيرون ، لا يعلم عددهم إلا الله ، و هم كفار، لم يدخلوا في النصرانية ، و لهم بأس شديد " (ابن الأثير: الكامل ، 3– 451) فغزّاهم عقبة " بالسوس الأدنى و هي بلاد تامسنا ، و هي بلاد المصامدة ، فهزمهم و أفناهم ، و بث الخيل في بلادهم ، فافترقت في طلبهم " (ابن عذارى: البيان ، جـــ . 1 26 ، ابن الأثير" 3–451) و أنه غزا في تلك المناسبة " مدينة نفيس و هي تعرف بالبلد النفيس... و حاصر بها الروم و نصارى البربر، و كانوا

---

[*] تارودانت: هي مدينة السوس الرئيسية،جنوب المغرب الأقصى على الضفة اليمنى لوادي سوس وهي تبعد حوالي 150 كلم عن مراكش من ناحيتها الجنوبية الغربية و 75 كلم ميناء أغادير من ناحية الشرقية.(E.I.T.IV.art.Tarudant.P.715).

قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحا و بنا بها مسجدًا... و أصابوا فيها غنائم كثيرة ، و ذلك سنة اثنين و ستين (البكري : المغرب ، ص 160) ثم غزا السوس الأقصى.

وقد اجتمع بالسوس الأقصى من البربر" عدد لا يحصى ، فلقيهم ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ما سمع أهل المغرب بمثله ، و قتل منهم خلقا عظيما ، و أصاب منهم نساء لم ير الناس ، في الدنيا مثلهم ، فقيل: إن الجارية منهن كانت تبلغ بالمشـــــــــــــــــــــرق ألف .. [دينار.. " (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية ، ص46 ، البيان ، جـــ .1 ،27 ، En -Noweiri:Conquête p 333).

و هرب الناس أمامه " تأييدا من الله لأوليائه ، و سار حتى بلغ البحر المحيط(ابن عذارى: البيان ، جـــ . 1 ، 245) أو وصل ماليان ، من البحر المحيط (ابن الأثير: الكامل ، 3 – 451.) أي المحيط الأطلسي.

أو أن عقبة سار في حملته تلك ، دون أن يرى كيدًا ، حتى " ماسة " بمكان من السوس الأقصى ، فبنى بها مسجدا (رياض النفوس ، 1 – 26).

أو أن عقبة " نزل من درعة إلى بلاد صنهاجة ، ثم إلى بلاد هسكورة ، ثم نزل أغمات وريكة ثم نزل منها إلى وادي نفيس ، و ... سار حتى نزل إيجلي بالسوس ، و بنى مسجدًا ... ثم سار.. حتى وصل ماسة ، فأدخل فرسه في البحر " (البيان ، 1 ، 27) أو أنه بلغ طنجة ، و جال هنالك و لا يقاتله أحد ، و لا يعارضه، حتى فتح كورة من كوّر السودان: " (البيان 1 – 28) أو أن عقبة " لما رجع من بلاد جزولة ، سلك على بلاد صوْدة " (البيان 1–28) ثم سار إلى إفريقية " (البيان 1 – 28) أي انطلاقا من صوْدة .

أو أن البربر اجتمعوا له " في عالم لا يحصى فلقيهم و هزمهم ، و قتل

المسلمون فيهم حتى ملّوا ، و غنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا ، و سار حتى بلغ ماليان " (الكامل ، 3 ، 451).

و أن عقبة قال بعدما أقحم فرسه " حتى بلغ نحره ... اللهم: إني أشهدك أنه لا مجاز ، و لو وجدتُ مجازًا لجُزْت ، و انصرف راجعا " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 72) أو أنه أدخل فرسه فيه ، حتى بلغ الماء لبب [*] فرسه ، و انصرف إلى إفريقية " (البكري: المُعرب ، ص73) . أو أنه قال " يا رب ! لو لا أن البحر منعني لمضيتُ في البلاد إلى مسلك ذي القرنين ، مدافعا عن دينك ، مقاتلا من كفر بك ! " ثم قال لأصحابه: " انصرفوا على بركة الله ! فجلا الناس أمامه بكل ناحية هاربين و انصرف قافلا من السوس الأقصى(البيان ، 1 – 27).

أو أنه عندما انتهى إلى البحر المحيط أقحم فرسه فيه " ثم نادى بأعلى صوته، و هو يشير بسوطه: " السلام عليم ورحمة الله ! " فقال له بعض أصحابه: " على من تسلم يا وليّ الله " فقال لهم: على قوم يونس [**] و هو من وراء هذا البحر، و لولاه لوقفت بكم عليهم " ثم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال: " اللهم اشهد ، إني قد بلغت المجهود ، و لولا هذا البحر لمضيت في البلاد ، أقاتل من كفر بك حتى لا يُعبد من دونك " (رياض النفوس ، 1 – 24 – 25) و من هناك عاد إلي إفريقية.

(*)اللبب:ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ليمنع السرج أو الرحل من الاستنخار(لسان العرب،5-331).

(**) هو النبي يونس،عم،ذكر أربع مرات في القران الكريم باسم يونس،ومرة واحدة باسم ذي النون ومرة أخرى باسم صاحب الحوت (عنه أنظر E.IT.,4,art.yunus b.Mattai.pp.1240-1241

أو أنه عندما وصل ماسّة " أدخل فرسه في البحر ، حتى وصل المـــــــــــــــاء تلابيبه (*) و قال " السلام عليكم ! يا أولياء الله ! " فقال له أصحابه: " على منْ تسلّم ؟ " قال: " على قوم يونس – عم " ثم قال: " اللهم ! إنك تعلم أني لم أطلب إلا ما طلب عبدك و وليّك ذو القرنين (**) ألا يعبد في الأرض غيرك ! " (ابن عذارى: البيان ، 1 – 27 ، قارن ابن الأثير: الكامل ، 3-451 ، . 333 .En-Noweiri:Conquête;p. يذكر اللبارون دوسلان ، مترجم النويري إلى الفرنسية ، أنه ورد في سورة 18 ، من القرآن الكريم ، ــ أن الملك ذا القرنين تقدم نحو المغرب.(L'occident). إلى أن وصل مغرب الشمس Le coucher du soleil). و رأى أن هذا الكوكب ينزل في بئر مليئة بالغرين (boue). الأسود أنظر (Le baron de slane,dans En Noweiri:Conquête,P.333,note1

أو أنه عندما " بلغ ماليان ، و رأى البحر المحيط ، ... قال: يا رب ، لو لا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك ثم عـــاد " (ابن الأثير: الكامل ، 3-451)

ومن الأحداث التي لم يشر إليها ابن خلدون ، في حديثه عن حملة عقبة هذه ، أن رجلا من العجم خالفه " في ثلاثين ألفا إلى عمر بن علّي و زهير بن قيس، و هما في ســـــــتة آلاف " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 72) فهزماه و أن " ابن الكاهنة البربري (خرج) على أثر عقبة ، كلما رحل عقبة من منهل ، دفنه ابن

(*) يقال لببه:أي أخذ بتلبيبه وتلابيبه،إذا جمعْت ثيابه عند نحره وصدره،ثم جررته،وكذلك إذا جعلت في عنقه،حبلا أو ثوبا وأمسكت به(لسان العرب،5-331)

(**) تطلق هذه التسمية ،في غالب الأحيان،على الاسكندر الأكبر،وقد ورد اسمه في القرآن الكريم(سورة 18- آية 82 فما بعدها)

الكاهنة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس ، و لا يشعر بما صنع البربري " (ابن عبد الحكم: فتوح ، ص 72).

مقتل عقبة بن نافع:

لم يخف على ابن خلدون التعريف بقاتل عقبة ألا و هو كسيلة بن لمزم الأوروبي ، إذ يذكر أن التقدم ، أي التغلب لعهد الفتح ، ببلاد المغرب ، طبعا ، كان لقبيلة أوْرَبَة " و كان أميرهم ، بين يدي الفتح ، سكرديد بن زوغي .... و ولّى عليهم بعده كسيلة بن لمزم الأوروبي ، فكان أميرا على البرانس كلهم (العبر ، 6 ، ص 216 ، للإشارة فإني حذفت من نص ابن خلدون قوله: " سكرديد بن زوغي... ولّى عليهم (أوربة) مدة ثلاثة و سبعين سنة ، و أدرك الفتح الإسلامي ، و مات سنة إحدى و سبعين ، و ولى عليهم من بعده كسيلة .. لما ظهر لي ، من أن التاريخين المذكورين خاطئان.) ؛ أو أن كسيلة هذا الذي كانت له " رئاسة البربر ... في أوربة ... هو رأس البرانس ، و مرادفة [*] (مرادفة: تبعية أي مساعدة (لسان العرب ، 2 – 1152–153) سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة ، و كان على دين النصرانية فأسلما لأول الفتح ، ثم ارتدا ، عند ولاية أبي المهاجر ، واجتمع إليهما البرانس ، و زحف إليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان (العبر ، 6–216) أو أنه " لما نزل أبو المهاجر تلمسان سنة خمس و خمسين (675–674 م) كان كسيلة بن لمزم مرتدًا بالمغرب الأقصى في جموعه من أوبة وغيرهم " (العبر ص297).

فهزمهم أبو المهاجر و ظفر بكسيلة فعرض عليه الإسلام فأسلم و استبقاه أي استنقذه و أحسن إليه و صحبه إلى أن قدم عقبة في ولايته " الثانية ، أيّام يزيد

---

[*] مرادفه: تبعية أي مساعدة (لسان العرب ، 2 ، 1152 –1153).

سنة اثنتين و ستيـــن (681-682 م) فأضغن [*]عليه صحابته لأبي المهاجر" (العبر، 6 ، 297) . أو " نكبه غيظًا على صحابته لأبي المهاجر " (العبر ، ص 216-217) الذي " تقدم ... في اصطناعه [**] فلم يُقبل " (ابن خلدون ، العبر ، ص 216-217).

و لما قام عقبة بزحفه على المغرب كان " كسيلة ... في اعتقاله يحمله معه في عسكره سائر غزواته " (ابن خلدون ، العبر ، 6 ، ص217) و كان في غزواته تلك يستهين " و يستخف به ، و هو في اعتقاله . و أمره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها إلى غلمانه ، و أراده عقبة على أن يتولاه بنفسه ، و انتهره ، فقام إليها كسيلة مغضبا ، و جعل كلما دس يده في الشاة يمسح بلحيته ، و العرب يقولون ما هذا يا بربري فيقول: هذا جيّد للشعر ، فيقول لهم شيخ منهم " إن البربري يتوعدكم، و بلغ ذلك أبا المهاجر ، فنهى عقبة عنه و قـــال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يستألف جبابرة العرب ، و أنت تعمد إلى رجل جبار ، في قومه ، بدار عزّه ، قريب عهـــد بالشرك ، فتُفسد قلبه ، و أشـــار عليه بأن يوثق منه ، وخوفه فتكه ، فتهاون عقبة بقوله " (ابن خلدون ، العبر ، 6 ، ص296 فما بعدها).

و يشير ابن خلدون ، مرة ، إلى أن عقبة عندما عاد " من السوس ، سرّح العساكر إلى القيروان حتى بقي في خف من الجنود ، و تراسل كسيلة و قومه ، فأرسلوا له شهودا [***] و انتهزوا الفرصة فيه و قتلوه و من معـــه " (العبر ،

---

[*] الضَغـــنُ والضِغْن:الحقد والعداوة والبغضاء(لسان العرب1-538)

[**] الصنيعة: ما اصطنع من خير ، و الصنيعة ما أعطيته و أسديته من معروف أو يد إلى إنسان تصطنعه بها (لسان العرب ، 3-483).

[***] قوم شهود أي حضور (لسان العرب ، 3- 374).

6-217) ، و يشير مرة أخرى إلى أنه عندما انتهى في عودته إلى طبنة " صرف العساكر إلى القيروان ، أفواجا ، ثقة بما دوخ من البلاد ، و أذلّ من البربر حتى بقي في قليل من الناس ، و سار إلى تَهُودَة أو بَادَسْ ، لينزل بها الحامية ، فلما نظر إليه الفرنجة طمعوا فيه و راسلوا كسيلة بن لمزم و دلوه على الفرصة فيه ، فانتهزها ، و راسل بني عمه و من تبعهم من البربر و اتبعوا عقبة و أصحابه ، رضي الله عنهم ، حتـــــــــى إذا غشوه (*) بتهودة ترجّل القوم ، و كسروا أجفان سيوفهم ، و نزل الصبر ، و استلحم عقبة و أصحابه ، رضي الله عنهم ، ولم يفلت منهم أحد ، و كانوا زُهاء ثلثمائة ، من كبار الصحابة و التابعين ، استشهدوا في مصرع واحد ، و فيهم أبو المهاجر ، كان أصحبه في اعتقاله ، فأبْلى ، رضي الله عنه ، في ذلك اليوم ، البلاء الحسن .... و أسر من الصحابة يومئذ ، محمد بن أويس الأنصاري و يزيـــــــد بن خلف القيسي ، و نفـــــر معهم ففداهم ابن مصادف ، صاحب قفصة ، و كان زهير بن قيس البلوي بالقيروان ، و بلغه الخبر، فخرج هاربا ، و ارتحل بالمسلمين ، و نزل برقة و أقام بها ، ينتظر المدد من الخلفاء ، و اجتمع إلى كسيلة جميع أهل المغرب ، من البربر و الفرنجة ، و زحف إلى القيروان ، فخرج العـــرب منهـــا ولحقـــوا بزُهير ابن قيس ، و بقي بها أصحـــــــاب الذراري و الأثقال ، فأمنـــــهم و دخل القيروان ، و أقام أميرا على إفريقية ... خمس سنين " (ابن خلدون : العبر ، 6 ، ص 298-299).

و ما يلفت الانتباه ، عند مقارنة ، ما كتبه ابن خلدون في هذا الموضوع بما كتبه سابقوه من المؤرخين ، أنه انفرد بتسجيل المعلومات الخاصة بكسيلة بن لمزم قبل أن يأسره أبو المهاجر بتلمسان ، في حين أنه لم يشر إلى بعض الأخبار التي سجلها غيره و راح يختصر بعضها الآخر ، كعادته.

(*) غشوه: جاءوه و غطوه (لسان العرب ، 4 ، 991).

و تتجلى هذه الأمور ، على سبيل المثال ، فيما أوْضَحه ابن عذارى في قوله: " فلما قدم عقبة و عُزل أبو المهاجر [عرّفه] بحال كسيلة ، و أنه من ملوك البربر ، و لم يستحكم الإسلام بقلبه فاستخف به عقبة ... " (البيان، 1 – 28 –29)، كما تتجلى فيما قيل من أن عقبة ، عندما " أراد أن ينهض إلى " طنجة " ... قال له أبو المهاجر: ليس بطنجة عدوّ لك ، لأن الناس قد أسلموا ، و هذا رئيس البلاد يريد كسيلة – فابعث معه واليا " فأبى عقبة إلا أن خرج بنفسه " (رياض النفوس ، 1– ص26) و أنه ، عندما رجع من السوس الأقصى ، رحل من المغرب الأوسط " إلى بلاد دكالة ، فوجد بها قوما ، فدعاهم إلى الإسلام ، فامتنعوا فقاتلهم ، فقتلوا جملة من أصحابه ، فسمّي ذلك الموضع مقبرة الشهداء ... ثم رجع ... إلى بلاد هسكورة، إلى موضع يقال له أطار ، فوجد فيه أقواما ، فدعاهم إلى الإسلام ، فامتنعوا ، فتقاتل معهم حتى فروا أمامه ، فلم يقاتله ، بد ذلك ، أحد من أهـــــــل المغرب " (ابن عذارى: البيان ، 1 ، 28).

و لم يحدّد ابن خلدون المكان الذي أمر فيه عقبة كسيلة " بسلخ شاة غنم"عكس ما فعله المالكي عندما أفاد بأن حملته و صلت إلى " ماسة ، بمكان من السوس الأقصى فبنى بها مسجدًا ، ثم أتى بذود (*) غنم للعسكر فذبح الذود ، فأمر عقبة " كسيلة " أن يســـــلخ مع [السالخين] ... " (المالكي: رياض النفوس ، 1 ، ص26 ، ابن عذارى " البيان ، 1 ، 29) الخ.

و لم يشر ابن خلدون إلى ما يتفق في شأنه كل من ابن الأثير و النويري من أن عقبة عندما عاد من السوس الأقصى " نفر الروم و البربر عن طريقه ، خوفا منه ، و اجتاز بمكان يعرف اليوم (في عهد كل من ابن الأثير و النويري)

(*) الذود: القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى التسع ، و قيل ما بين الثلاث إلى العشر أو خمس عشرة أوعشرين أو الثلاثين ، و قيل ما بين اثنتين و التسع ، و لا يكون إلا من الإناث (لسان العرب ، 2 ، 1084).

بماء الفرس ، فنزله ، و لم يكن به ماء ، فلحق الناس عطش كثير ، أشرفوا على الهلاك ، فصلى عقبة ركعتين و دعا ، فبحث فرس له الأرض بيديْه فكشف له عن صفاة ، فانفجر الماء ، فنادى عقبة في الناس فحفروا أحساء كثيرة ، و شربوا فسمي ماء الفرس " (الكامل: ، 3 ، 45 ،. Conquête ,P.334;451 ؛ و توجد ، حسب البارون دوسلان ، مترجم النويري إلى الفرنسية ، عين فرس بناحية سيدي داحو ، بين تلمسان و سيدي بلعباس و بالضبط ، في الطريق الذي يكون عقبة قد قطعه ، من السوس إلى إفريقية (En Noweiri:P334,note 1).

و ما يمكن ملاحظته في مسألة " تسريح " عقبة لأصحابه أو " صرفهم " أن ابن خلدون يتفق في روايته الثانية المتعلقة بصرف جيشه ، أثناء عودته من السوس الأقصى ، انطلاقا من مدينة طبنة ، مع أبي الأثير الذي حدد بالمناسبة بُعدها القيـــــروان بثمانية أيام (الكامل ، 3 ، 451 -452). و النويري الذي يصفها بالصغيرة (Conquête,P.334) لكنه لا يتفق في مضمون روايته مع روايات كل من ابن عبد الحكم و المالكي و البكري حيث تفيد أولاها أن عقبة " أمر " أصحابه فافترقوا عنه " و أذن " لهم بذلك ، قرب " ثغر إفريقية " حتى بقي في قلة منهم (فتوح ، ص70). و تفيد ثانيها أن عقبة عنـــدما وصل ، في عودته " إلى ثغر افريقية " أذن " لمن معه من أصحابه أن " يتفرقوا " و يقدموها ، فوْجا فوجا ... ، فلما انتهى [إلى] ثغر إفريقية ، و هي " طبنة " أذن " لمن بقي معه بالانصراف إلى القيروان " (رياض النفوس ، 1 ، 25) و تتضمن ثالثتهما أن عقبة ، عندما اقترب من إفريقية " افترق " أصحابه عنه ، فوجا فوجا ، فلما وصل إلى مدينة طبنة " أذن " لسائر من بقي معه ، و بقي في عدة يسيرة (المُغرب ، ص73).

فمن الواضح من تعبير ابن خلدون و ابن الأثير أن: التسريح أو الصرف كان بإرادة من عقبة لكن ما يستنتج من تعبيري ابن عبد الحكـــم و المالكي: " أمر " و " أذن " و " يتفرقوا " هو نوع من التردد فيما إذا كانت تلك العملية تمت بإرادة

عقبة أم بدونها في حين يتضح من تعبير البكري " افترق " و " أذن " أن تلك العملية حدثت على الأقل في بدايتها ، دون موافقته.

و مما لم يذكره ابن خلدون في أخباره بهذه المناسبة أن مدينة تهودة أو تهوذا و مدينة بادس أو باديس كانتا " في ذلك الوقت من أعظم مدائن المغرب " (البكري ، المُغرب ، ص74) و أن عقبة قصدهما ليعرف " ما يكفيهما من العدة و الجيوش " (البكري ، المُغرب ، ص74 ؛ En-Noweiri:Conquête;p .334 أو أنه"مال في خيل يسيره يريد " تهودة " لينظر قدر ما يكفيها من الخيل ، فيقطع ذلك إليها " (المالكي: رياض النفوس ، 1 ، 25 ؛ قارن ابن الأثير: الكامل ، 3 – 451-452).

و لم يتوقف نفس المصدر ، عند الحديث الذي أورده أبو العرب ، و بعده المالكي ، و الذي يصف " تهودة " بالملعونة مضيفا أن " النبي (صلعم) نهى عن سكناها ، و قال: " سوف يقتل بها رجال من أمتي ، على الجهاد في سبيل الله ، ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحُد ، و الله ما بُدّلوا حتى ماتوا وا أَشْوَقاه إليهم " و قال ... ، فقالوا: ذلك عقبة و أصحابه ، قتلهم البربر والنصارى بتهودة ، فمنها يحشرون يوم القيامة ، و أسيافهم على أعناقهم ، حتى يقفوا بين يدي الله تبارك و تعالى " (طبقات علماء إفريقية ، ص60 ، رياض النفوس ، 1 27 ، أورد البكري هذا الحديث لكنه غيّر صيغته ، بعد جملة " ما بُدّلوا حتى ماتوا " لتصبح " و كان شهر بن حوشب يقول: و أشوقاه إليهم ، و كان يقول سألت التابعين عن هذه العصابة ، فقالوا: ذلك عقبة بن نافع ، قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا ، فمنها يحشرون يوم القيامة و سيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدي الله تعالى (المُغرب ، ص73).

مع الإشارة إلى أن مضمون ما جاء في روايتي ابن خلدون الخاصتين بأحداث مقتل عقبة ، يختلف ، كليا أو جزئيا ، في تفاصيله مع ما جاء في روايات

المؤرخين السابقين له ، فهو يختلف عما جاء في روايتي ابن عبد الحكم: و تقضي أولاهما أن عقبة ، بعدما بقي في قلة من أصحابه " أخذ على مكان يقال له تهوذة ، فعرض عليه كسيلة بن لمزم ، في جمع كثير من الروم و البربر ، و قد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ــ فقتل عقبه و من معه و قتل أبو المهاجر ، و هو موثوق بالحديد ، ثم سار كسيلة و من معه حتى نزلوا الموضع الذي كان عقبة اختطه ، فأقام به ، و قهر من قرب منه ... و جعل يبعث أصحابه في كل وجه " (فتوح ، ص 70).

و تقتضي ثانيهما: أن عقبة عند انصرافه من السوس ، وجد " المياه قد غورت ، و تعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل ، و أبو المهاجر في الحديد ، فلما استحر الأمر ، أمر عقبة بفتح الحديد عنه/فأبى أبو المهاجر ، و قال: ألقى الله في حديدي ، فقتل عقبة و أبو المهاجر و من معهما " (فتوح ، ص 72) .

و يختلف مضمون روايتي ابن خلدون ، في تفاصيله ، مع مضمون روايتي المالكي اللتين تفيد إحداهما: أن عقبة ، عندما مال إلى طبنة ، في خيل يسيرة ، يريد " تهوذة " ... كانت " جيوشه متياسرة عن طبنة ، فلما انتهى إليها ، نظر الروم إلي قلة من معه من الخيل فقالوا [إن في قتل هذا الخيل ، قتل أهل الأرض] ، و ظنوا أن ذلك عسكره ، فأغلقوا باب حصنهم و رموه بالحجارة ، و شتموه ، و هو يدعوهم إلى الله و إلى رسوله ، فلما توسط البلاد نزل ، فبعث الروم إلى " كسيلة الأوربي " فأعلموه بقلة من معه ، فجمع له جمعا كبيرا ، من الروم و البربر ، و زحف إليه ليلا ، حتى نزل بالقرب منه ، و اختلط بعسكر عقبة ، حتى أصبح ، فلما رأى ذلك عقبة ، استعد له ، و أمر أصحابه ألا يركب منهم أحد ... فقاتلوا قتالا شديدا ... فاستشهد عقبة ، رضي الله عنه ، و جميع من كان معه ، رضي الله عنهم أجمعين ، و استشهد معه أبو المهاجر و كان موثقا في الحديد ، و قيل [إنّ] كسيلة إنما أتى ناصرا لأبي المهاجر ، ــ لأنه كان صديقه ، فقتل أبو المهاجر في التحام القتال ،

ولم يعلم به " (رياض النفوس ، 1 ، ص 25).

أمّا الرواية الأخرى فتفيد بأن البربر نكثوا ، أثناء عودة الحملة ، ما كانوا عليه ، بسبب الإهانة التي ألحقت برئيسهم الذي " غشي ... عقبة بقرب " تهودة " ... فنزل عقبة عن فرسه ، و صلى ركعتين ، و قال: " أطلقوا أبا المهاجر ! " ثم قال له: إلحق [بالقيروان] ، و قم بأمر المسلمين ، و أنا أغتنم الشهادة " فقال: و أنا أغتنم الشهادة مثلك " فكسر كل واحد منهما غمد سيفه ، و كسر المسلمون أغماد سيوفهم ، و قاتلوا حتى قتلوا [عن آخرهم] ، و قيل: إن عقبة أمر بتخلية أبي المهاجر ، فأعجله القتال ... " (رياض النفوس ، 2 ، ص 26 – 27).

و يختلف ذلك المضمون أيضا مع ما جاء في رواية البكري التي يذكر فيها أن عقبة ، بعدما أذن ، و هو بطبنة ، لسائر من بقي من أصحابه للالتحاق بمن غادروا صفوفه إلى القيروان بقي في عدة يسيرة منهم ، و التحق بمدينة تهوذا (تهودة) " فاعتمد كسيلة بن لمزم في جيوش الروم ، و أقبلت إليه عساكر البربر ، وقد علموا بافتراق عساكر عقبة ، فزحفوا إليه ، فكسر عقبة و أصحابه أجفان سيوفهم ، و قاتلوا حتى قُتلوا جميعا " (المغرب ، ص 74).

كما يختلف أيضا عن روايتي ابن عذارى و النويري اللتين تجمعان بين روايتي المالكي ، و جاء فيهما: أن عقبة ، عندما حلّ بتهودا (تهودة – تهوذا) لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان " مع بقية من معه ، نظر الروم إليهم ... فأغلقوا باب حصنهم ، و جعلوا يشتمونه و يرمونه بالحجارة و النبل ، و هو يدعوهم الى الله – عز وجل– فلما توسط البلاد ، بعث الروم إلى كسيلة ... و قد كان في عسكر عقبة" (البيان ، 1 ، 28 ؛Conquête ,P.334) منذ أن اعتنق الإسلام على يد أبي المهاجر و بعدما أهانه عقبة ، بإجباره على السلخ ، انتهز " فرصة ، فنكث ، و قام في أهل بيته و قبائله ، من البربر ، فقال أبو المهاجر: " عاجله قبل أن يستعجل أمره ! " ، فوقف إليه عقبة ، فتنحى أمامه ، فقالت له البربر: " لم تتنحى عنه ! وهو

في خمسة آلاف و نحن في خمسين ألفا ، في الزيادة ! و الرجل ليس عنده من يمده، و قد سار عنه أصحابه ! " فركّبه البربر في الجيوش العظيمة ، و غشيهم بهم كسيلة، بقرب تهودا ، فنزل عقبة – رضه– و ركع ركعتين ، و قال لأبي المهاجر: ألحق بالمسلمين ، فقم بأمرهم ! فأنا اغتنم الشهادة ! " فقال له أبو المهاجر: " و أنا والله ! اغتنمها معك ! " فكسر كل واحد منهما جفن سيفه ، و كسر المسلمون كذالك أغماد سيوفهم ، و أمرهم أن يترجلوا عن خيولهم ... فقُتل عقبة و أبو المهاجر ، ومن كان معهما من المسلمين ، و لم يفلت منهم أحد ، إلاّ بعض من وجوههم ، أُسرو ففداهم صاحب قفصة ، و بعث بهم إلى زهير ابن قيس ... و كان وصول عقبة إلى المغرب سنة61 هـ/680 هـ –681 م و قيل سنة 62 هـ /681 – 682 م وجال المغرب ثلاثة أعوام (ابن عذارى: البيان ،1 ، ص 29– 30؛ رياض النفوس ، 1، 26).

و يختلف المضمون أخيرا عن روايتي ابن الأثير، و ما تبقى من روايتي النويري في نفس الموضوع ، إذ يقول ابن الأثير: بعدما وصل طبنة " سار إلى تهوذا لينظر إليها في نفرٍ يســـــــــــــير " (الكامل ، 3 ، 452) و عندما رأى الروم ذلك " أرسلوا إلى كسيلة ، و أعلموه حاله و كان وفي عسكر عقبة ، مضمرا للغدر و قد أعلم الروم ذلك و أطعمهم – فلما راسلوه ، أظهر ما كان يضمره ، وجمع أهله و بني عمه ، و قصد عقبة فقال أبو المهاجر: عاجله ، قبل أن يقوى جمعه و كان أبو المهاجر موثقا في الحديد مع عقبة فزحف عقبة إلى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه " (الكامل ، 3 ، 452).

أو أن كسيلة الذي كان على اتصال بالروم ، انتهز فرصة مواتية و لاذ بالفرار ، و سرعان ما التحق به رجاله و بنو عمه ، و جماعة من الروم ، و نصح أبو المهاجر عقبة بملاحقته ، قبل أن يستفحل أمره ، ففعل عقبة لكن كسيلة تنحى أمامه (En Noweiri:Conquête,P.335) و لما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول

أبي محجن الثقفي:

كفى حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا *** و أترك مشـــدودا و علي وثاقيـــــــا

إذ قُمتُ عناني الحديد و أغلقـــت *** مَصـــــارع من د وني تُصم المُناديـــــا

" فبلغ عقبة ذلك ، فأطلقه ، فقال له ، الحق بالمسلمين و قم بأمرهم ، و أنا أغتنم الشهادة ، فلم يفعل ... فكسر عقبة و المسلمون أجفان سيوفهم ... و أسر محمد بن أوس الأنصاري ، ــ في نفر يسير ، فخلصهم صاحب قفصة ، و بعث بهم إلى القيروان ، فعزم زهير ابن قيس البلوي على القتال ، فخالفه جيش الصنعاني ، وعاد إلى مصر ، فتبعه أكثر الناس فاضطر زهير إلي العودة معهم فسار إلى برقة ، وأقام بها (الكامل ، 3 ، ; 452 EN Noweiri:Conquête,PP.335-336) .

و النتيجة التي يمكن التوصل إليها ، من خلال مقارنة ما كتبه ابن خلدون بما كتبه سابقوه من المؤرخين عن ولايتي عقبة بن نافع على بلاد المغرب ، أن منهجه يتميز بحذف أمور كثيرة من المعلومات الخاصة بتلك الفترة ، مثل التقرير الذي وجهه عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، حول معاملة سكان المنطقة الواقعة بين برقة وزويلة ماليا ، و تفاصيل كثيرة خاصة بتأسيس مدينة القيروان: مثل وضعيتها قبل التأسيس ، و كيفية اختيار موقعها و أخبار عزل عقبة عن ولاية إفريقية ثم رده إليها و اجتماع عقبة بأبنائه ، قبل انطلاق حملته ، استخلافه زهير بن قيس و عمر بن عليّ آنذاك على القيروان وغزوة قرطاجة والمنستير و تلمسان و الحديث عمن خالفه إلى القيروان بعد خروجه منها و إلى دفن مناهل الماء خلفه ، أثناء زحفه غربا ، و إلى ما قد تكون قد وقعت من أحداث ، قبل وصوله طبنه ، وإلى المكان الذي أمر فيه عقبة كسيلة بسلخ شاة غنم . و روايات متناقضة كثيرة عن مختلف الأحداث.

كما يتميز منهج ابن خلدون باختصار الكلام أو تلخيصه أثناء تطرقه

لبعض المواضيع كالحديث عن الحملة التي قادها عقبة نفسه ، لمدة خمسة أشهر في ودّان و فزان و كوّار و إساءة أبي المهاجر دينار، له عند عزله و تفاصيل الأحداث التي جرت في باغاية و لميس و الزاب و تاهرت و طنجة والسوس الأدنى و الأقصى ، وبعض نصائح أبي المهاجر له في شأن معاملة كسيلة و تفاصيل أحداث مَقْـتله.

و يتميز منهجه كذلك بتفادي الحديث عن الأمور التي يصعب على عقل الإنسان التسليم بصحتها كقضية جذع أذن ملك ودّان ، و معاملة ملك جرمة و قطع أصبع ملك كوار ، و اكتشاف أحساء ماء الفرس و الكيفية التي تعامل بها عقبة مع الوحوش والحيّات التي كانت تعيش في المكان الذي أسست فيه مدينة القيروان ، وما نتج عن ذلك ، كما لم يشر ابن خلدون إلى أن عقبة كان مستجاب الدعاء و إلى الأدعية التي كان يدعو بها الله من أجل تحقيق بعض ما كان يصعب عليه إنجازه ، و إلى الاختلاف الذي وقع بينه و بين أصحابه في شأن قبلة جامع القيروان و كيفية تسويته و الأحاديث النبوية المتعلقة بتهودة.

و يتميز هذا المنهج أخيرا بعدم التدقيق في تواريخ وقوع الأحداث ، مثل تاريخ تولية عقبة على إفريقية و تاريخ عزله وتاريخ إعادته إليها ، و كذلك بعدم العناية بتسلسل وقوع الأحداث التاريخية أحيانا.

و ما يلفت الانتباه،عند المقارنة المذكورة أن ابن خلدون ينفرد أحيانا بالإشارة إلى بعض القضايا و منها: قتال عقبة لمسوفة وراء السوس الأقصى ، ومناصرة زناتة له أثناء صدامه مع المصامدة في جبال درن ، و المعلومات الخاصة بكسيلة قبل أن يأسره أبو المهاجر دينار، مما يدل ولا شك على استغلاله لمصادر ، لم يتمكن غيره من الوصول إليها.

و السؤال الذي ينبغي على الباحث في هذا الموضوع الإجابة عنه هو: هل

أن ابن خلدون راعى في كتابته ما يحتاجه التاريخ ، كما ذكر من " ... حسن نظر وتثبت للوصول إلى الحقيقة ... " إن هذا لا يلمس وبكل صراحة ، فيما كتبه عن النموذج المختار لاختبار منهجه ، فهو لم يتوقف ، كما يمكن التصور ، عند كل حادث ليتمعن و يحقق و يقارن و يحلل و يستنتج ، بل إن حسن نظره و تثبته يقتصر كما يتضح من خلال المثال المأخوذ هنا ، على حذف و اختصار كُـلّما لم يقتنع بصحة حدوثه ، كما ورد ذكره عند سابقيه ومن ثمة فهو أمّن نفسه من العثور، على حد تعبيره ، و استغنى على الكثير ممّا يتضمنه من شوائب ، حسب رأيه ، أي أنه حاول غربلة ما نقله مما علق به ، و هذا ما يتميز به ابن خلدون عمن سبقوه في الكتابة التاريخية و هو الجديد الذي طُبّق دون أن يعلن عنه.

ببليوغرافيا:

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء القاضي، ط. الثالثة ، دار الكتاب ، بيروت 1418 هـ 1998 م .
- البكري: المغرب في فكر افريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، ط. الجزائر 1857.
- البلاذري : كتاب فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية.
- ابن خلدون: تاريخ العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، ط. دار الكتاب اللبناني 1959.
- تاريخ العلامة ابن خلدون ، موفم للنشر ، 1995.
- مقدمة العلامة ابن خلدون ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- ابن عبد الحكم : كتاب فتوح افريقية و الأندلس ، النص العربي مع الترجمة الفرنسية(Gateau.A). الجزائر 1948.
- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ح.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال.ط. بيروت.
- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق و تقديم المنجي الكعبي ، ط.تونس 1968.
- المالكي: كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقيا و زهادهم وعبادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضلائهم و أوصافهم ، نشره حسين مؤنس ، القاهرة 1951.
- ابن منظور:لسان العرب المحيط: قدم له عبد الله العلايلي ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ، دار الجيل ، بيروت 1408 هـ - 1988م.
- Encyclopédie l'islam,T.II,art.Kawar.
-T.II,art.ghadames
-I.IV,art Zawilat-alsudan.
- Ibn al- al-Athir:Annales Maghreb et de l'Espagne, traduite par E.Fagnan,Revue africaine, n°320,1896
En-Noweiri:Histoire de la conquête de l'Afrique septentrionale par les musulmans et histoire de ces pays sous les émirs arabes, dans Ibn .Khaldoun histoire des Berbers et des dynasties de l'Afrique septentrionale, T.1,traduite de l'Arabe par le baron de slane,Appendice II.